الفصل السادس والخمسون
الفكاهي جدًّا..

كنا سنة أولى كلية عام ١٩٧٠.. وبنلبس شورت وشكلنا جميل وحلو.. بس أقرب للفيران المسلوخة.. وكان أجملنا وأقربنا للطفولة البريئة.. زميلنا المحير والغالي والعزيز.. كنا جميعا بنحبه ونلعب بيه.. ساعات نزهق ويضايقنا ونيأس منه.. فنأجره ونرميه..

صاحب هذه السيرة العطرة والطيبة والشفافية.. اللي شاري دماغه من الدنيا.. أخونا الطفل المعجزة.. أيوة جالنا كده.. (محمد فريد موسى شرف).. بيفكرني في شكله وتصرفاته بالممثل الرائع الأمريكاني صغير الحجم والذي مثل دور البابي (الطفل الصغير بالببرونة والكفولة وغطاء الرأس المدور والمكشكش زي البرنيطه والمربوط بحبل أو فتله أو دوبارة مربوطة في دقنه عشان ما تقعش) هذا هوعريس الليلة..

إيه المشكلة والمرض والعرض.. والد سيادته والدنا لواء شرطة من أساتذتنا الكبار المرموقين باعته للكلية لغرض واحد.. الإقلاع عن هذا المرض (شراهته للدخان والسجائر حتى لو كانت سبارس).. تمت توصية الضباط وصف الضباط لإحكام هذه التعليمات.. بخطة محكمة وتم الاستعانة فيها بالإنتربول.. وتمت محاصرته في المحاضرات والطوابير والحمامات.. والتدريب.. والأكل والنوم والفصول! بأحدث الأجهزة والمعدات المعدنية والبلاستيكية

والبشرية.. وكنت أنا منهم (كمباحث) ومحدش.. حاسس..! .. وكانت جميع هذه الإجراءات تابعة لإدارة مباحث المخدرات..؟ وحبا فيه.. . وخوفا عليه.. كان هناك في كل الخطوات فرقة مكافحة الكيف.. مرافقة ومراقبة له.. بالخوذة والسيف!

يا عيني الواد خرمان.. وعنيه قفلت وجسمه همدان.. وقعد يهلوس.. ويقول أنا المأمور.. وجاله حول في رجليه.. بدل ما ينزل الطابور.. يروح الفصول ويرسم على السبور.. صور لسجائر بتدخنها الطيور.. وكان ماشي في الكلية يصوصو.. كالعصفور! وكل ما يفلت من كمين.. يلاقي ألف مراقبين!.. طب يعمل إيه في العيشة الهباب اللي من غير دخان..؟ هداه تفكيره بعد النوم أن يتسحب وهو صغير الحجم ومش باين.. إنه يروح الحمام ويشرب سيجارة لأنه على آخره.. وخرمان وبقاله شهرين من غير حس ولا نفس (سيجارة طبعا).. بس فيه مشكلة بسيطة لكن خطيرة.. كان سريره جنب سريري على يميني وكان على شمالي عادل عامر.. أنا شفته فر للحمام.. صحيت الشويش عبد الستار وكان حنين بيخاف علينا وقلتله فريد مبقاش وحيد.. يعني إيه.. متصاحب مع سيجارة في الحمام.. جري الشويش قوام.. ونكد عليه وأخد السيجارة وفرم العلبة وقعد يكدر في فريد.. لتاني يوم.. وأنا سعيد.. عشان حافظت على صحته.. طبعا فريد بقاله شهرين ووالده اللواء يستلمه من الكلية يوم الخميس تسليم مفتاح من إيده على الاعتقال بالمنزل لكي يكمل علاجه من الإدمان ويرجعه الكلية مساء الجمعة بنفس الطريقة يسلمه للشاويشيه..! وذات يوم جمعة

وهو راجع للكلية.. قالي حبيبي أنكل سعيد.. ممكن أطلب طلب.. قول يا هباب.. اوعى تقولي دخان.. لا مش قوي كدا خليك حنين عليا عشان سريرك جنب سريري استر عليا بس في سيجارة واحدة بس والله حاططها في الكافولة.. وعملها توصيلة بلاستيك بأنبوبة.. حاشدها بالليل بعد الساعة اتنين واحنا نايمين.. وبعدين معاك.. حاتبوظ العلاج..! والنبي.. والنبي!.. آخر مرة يا أبيه سعيد؟.. واحدة في حياتي بس!.. اتفقت مع عادل عامر.. وبدأ الدخان يتراقص بتمايل وانسجام.. ويتسحب من البطانية فوق سرير فريد.. كحيت ثلاث مرات ودي الإشارة مع عادل عامر.. فقام كالزنهار في وسط العنبر صائحا حريقة.. حريقة.. الكل.. صحي والشاويشيه قادوا الأنوار وأصبح الليل والعنبر بقى نهار..! لقوا الدخان فوق سرير فريد وهو مش باين ولا موجود.. شيلنا البطانية مفيش فريد.. المرتبة.. مش شايفين فريد.. شلينا الملاية اللي على الملة الحديد.. لقينا فريد مزنوق بين قوسين.. أقصد حديدتين من ملتين السرير.. ووشه أزرق على كحلي.. وبيموت.. بسرعه أخدت بندقيه من سلاحليك العنبر.. وطاخ طيخ في الملة اتكسرت ووقع فريد بالكفولة والسيجارة والأنبوبة (التوصيلة) البلاستيك.. وفي فمه عقب السيجارة بيمصمص فيه.. على اللي جرالـه واللي حصله.. ما تسالوش.. عشان إنتوا ما بتدفعوش..!

بقيت قصص أخيرة في مدة خدمتي بالإسكندرية.. فكاهية وغريبة وأول مرة تحدث في فترة قصيرة بحياتي.. (شرارة).